

410959 - شرح عبارة من حديث ابن مسعود عن ليلة الجن

السؤال

جاء في مسند أحمد (332 /6 - 334)، حَدَّثَنَا عَارِمٌ، وَعَقَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: قَالَ أَبِي: حَدَّثَنِي أَبُو تَمِيمَةَ، عَنْ عَمْرٍو - لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَ: الْبِكَالِيِّ، يُحَدِّثُهُ عَمْرٍو - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ عَمْرٍو: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: "اسْتَتَبَعَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْتُ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، فَحَطَّ لِي خِطَّةً، فَقَالَ لِي: (كُنْ بَيْنَ ظَهْرِي هَذِهِ لَا تَخْرُجْ مِنْهَا؛ فَإِنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ هَلَكْتَ) قَالَ: فَكُنْتُ فِيهَا، قَالَ: فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدْفَةً، أَوْ أَبْعَدَ شَيْئًا، أَوْ كَمَا قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ هَنِيئًا، كَأَنَّهُمُ الرُّطُّ. قَالَ عَقَّانُ - أَوْ كَمَا قَالَ عَقَّانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ -: لَيْسَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ، وَلَا أَرَى سَوْءَاتِهِمْ طَوَالًا، قَلِيلٌ لِحْمِهِمْ، قَالَ: فَأَتَوْا، فَجَعَلُوا يَزْكَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، فما معنى يركبون رسول الله؟

الإجابة المفصلة

هذا الحديث رواه الإمام أحمد في "المسند" (332-334/6)، قال: حَدَّثَنَا عَارِمٌ، وَعَقَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: قَالَ أَبِي: حَدَّثَنِي أَبُو تَمِيمَةَ، عَنْ عَمْرٍو - لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَ: الْبِكَالِيِّ يُحَدِّثُهُ عَمْرٍو - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - قَالَ عَمْرٍو إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ - قَالَ: "اسْتَتَبَعَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا، حَتَّى أَتَيْتُ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، فَحَطَّ لِي خِطَّةً، فَقَالَ لِي: «كُنْ بَيْنَ ظَهْرِي هَذِهِ لَا تَخْرُجْ مِنْهَا، فَإِنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ هَلَكْتَ»، قَالَ: فَكُنْتُ فِيهَا، قَالَ: فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدْفَةً، أَوْ أَبْعَدَ شَيْئًا، أَوْ كَمَا قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ هَنِيئًا كَأَنَّهُمُ الرُّطُّ، (قَالَ عَقَّانُ: أَوْ كَمَا قَالَ عَقَّانُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ): لَيْسَ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ، وَلَا أَرَى سَوْءَاتِهِمْ، طَوَالًا، قَلِيلٌ لِحْمِهِمْ، قَالَ: فَأَتَوْا، فَجَعَلُوا يَزْكَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: وَجَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَجَعَلُوا يَأْتُونِي فَيُحِيلُونَ حَوْلِي، وَيَغْتَرِضُونَ لِي. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَزْعَبْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا شَدِيدًا. قَالَ: فَجَلَسْتُ، أَوْ كَمَا قَالَ. قَالَ: فَلَمَّا انشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ جَعَلُوا يَذْهَبُونَ...".

قال محققو المسند: "إسناده ضعيف، عمرو البكالي - وكنيته أبو عثمان - لم يثبت سماعه لهذا الحديث من ابن مسعود، فقد قال البخاري في "التاريخ الصغير" (1/203): ولا يعرف لعمرو سماع من ابن مسعود، لكن قال أبو حاتم في "المراسيل" (ص 119): روى عن ابن مسعود حديث ليلة الجن.

وعمره هذا مختلف في صحبته، والأكثر على أنه ليست له صحبة، ولم يؤثر توثيقه عن أحد... وبقيّة رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي تميمه - وهو طريف بن مجالد الهجيمي - فمن رجال البخاري... ولم يصحح أبو زرعة وأبو حاتم في هذا الباب شيئاً، كما سيرد.

وأورده ابن كثير في "تفسيره" (تفسير سورة الأحقاف) من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد، وقال: وفيه غرابة شديدة... " انتهى.

ثم بينوا أن كل طريقه لا تخلو من ضعف، ومنها ما رواه الترمذي في "السنن" (2861)، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَحَدَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى حَرَجَ بِهِ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ، فَأَجْلَسَهُ، ثُمَّ حَطَّ عَلَيْهِ حَطًّا، ثُمَّ قَالَ: **«لَا تَبْرَحَنَّ حَطَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِي إِلَيْكَ رِجَالٌ، فَلَا تُكَلِّمُهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَلِّمُونَكَ...»** الحديث.

وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، مِنْ هَذَا الْوَجْهِ".

ثم مع ما في أسانيدها من ضعف فقد خالفها ما هو أصح منها، حيث روى الإمام مسلم (450) عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: " سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: " لَا، وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ، فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأُودِيَةِ وَالشَّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتَابَ. قَالَ: فَبِئْسَ بَشَرٌ لَيْلَةَ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَدْنَاكَ، فَطَلَبْنَاكَ، فَلَمْ نَجِدْكَ، فَبِئْسَ بَشَرٌ لَيْلَةَ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: (أَتَانِي دَاعِي الْجَنَّةِ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ)، قَالَ: فَأَنْطَلَقَ بِنَا، فَأَرَانَا آثَارَهُمْ، وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الرَّادَ، فَقَالَ: **«لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَمًا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفَ لِدَوَابِّكُمْ»**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ»**.

ورواه الترمذي (3258)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" انتهى.

وقوله في هذا الخبر في رواية الإمام أحمد: (فَجَعَلُوا يَرْكَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

معناه: يتبعونه ويقربون منه إلى حدِّ المزاحمة له.

قال ابن قتيبة، رحمه الله: " ... لبد الشيء يلبد لبودا، وتَلَبَّدَ أيضا: إذا انْضَمَّ بعضه إلى بعض، يُقال: ألبد فلان بالمكان، فهو مُلْبِدٌ بِهِ، إذا لزمه وأقام به. ومنه قول ابن أبي بَرزَةَ، وذكر قوما يعتزلون الفِئْتَةَ: (عِصَابَةٌ مُلْبِدَةٌ، خِصَامُ الْبُطُونِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، خِفَافُ الظُّهُورِ مِنْ دِمَائِهِمْ) ...

وقول الله جلّ وعز: **(كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبْدًا)**: هُوَ مِنْ هَذَا؛ أَي: كَادُوا يَرْكَبُونَهُ وَيَلْبُدُونَ بِهِ، رَغْبَةً فِيمَا سَمِعُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَشَهْوَةً لَهُ.

وقال ابن مسعود: إن الجن أتوا، فجعلوا يركبون رسول الله. انتهى، من "غريب الحديث" (1/574).

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى:

" وفي حديث أبي هريرة: (فَإِذَا عَمَرَ قَدْ رَكِبَنِي)، أي: تبعني، وجاء على أثري؛ لأنَّ الزَّاكِبَ يسير بسير المركوب.
يقال: ركب أثره وطريقه إذا تبعته ملتحقا به " انتهى من "النهاية في غريب الحديث" (2/257).

وقد فسرتها الرواية الأخرى، عند البيهقي في "دلائل النبوة" (2/232):

(فازدحموا عليه).

والله أعلم.